

# مواقف الحج في التراث العربي القديم

د. عبد الغني زيتوني



لا ريب في أن معظم العرب الجاهليين قبل الإسلام كانوا يعظمون بيت الله الحرام بمكة، ويحجون إليه في شهر محدد وفي أيام معلومات. وقد انتقلت إليهم مناسك الحج ومشاعره من الديانة التوحيدية التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام، وعلى الرغم من أن تلك المناسك والمشاعر قد دخلها ما دخلها من آثار الشرك والمشركون فإنهم ظلوا متمسكين بأكثر سننها ومراعين حرمتها، وخاصة في الوقوف على عرقات والمزدلفة ومنى، وقضاء ما عليهم فيها من نُسك وشعائر.

وكان من أراد منهم الحج، وتوجه إلى المواقف تزيّياً بزيّ خاص يكون إشعاراً للآخرين بأنه أحرم للحج. ولا يُعرف تماماً الثياب التي كان يرتديها الحجاج، إلا أنه من المؤكد أنهم كانوا يرتدون ثياباً معينة حين يقصدون المواقف، ويدل على ذلك ما أورده الجاحظ حين قال: «كانت سيما أهل الحرم إذا خرجوا إلى الحل في غير الأشهر الحرم، أن يتقلّدوا القلائد ويعلقوا العلائق، فإذا أوجب أحدهم الحج تزيّياً بزيّ الحجاج»<sup>(١)</sup>.

## عرفات

أما الحج عند العرب الجاهليين فكان يبدأ بوقوفهم في عرفات وتجمعهم هناك أصيل اليوم التاسع من ذي الحجة، حيث يظل الحجاج طوال ذلك النهار يلبيون متعبدين.

وسبب تسمية (عرفات) بهذا الاسم لم يتفق عليه، فتعددت أقوال العلماء فيه، ولعل أبرزها هو ما ورد من أنها سميت بعرفات لأن الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت الإشارة إلى عرفات في عبارات عدة مشتقة منها، فمن ذلك أن أوس بن مخرّاه السعدي ذكر «التعريف»، وهو يريد عرفات، في قوله<sup>(٣)</sup>:

ولا يريمون في التعريف موقفهم  
حتى يقال أفيضوا آل صقوانا  
وقد وردت العبارة نفسها في تلبية كنانة التي كانت تقول فيها<sup>(٤)</sup>:

لبيك اللهم لبيك

اليوم يوم التعريف      يوم الدعا والوقوف

كما أطلق على عرفات لفظ «المعرف»، أيضا، وذلك في مثل قول شاعر من هوازن قام بمكاظ مفتخراً بما فعله الأحمر بن مازن الهوازني حين قطع رجل أحد أفراد بني مدركة بن خندف<sup>(٥)</sup>:

نحن ضربنا ركة المختدِف      إذ مدّها في أشهر المعرف

وقد اشتق أيضاً من عرفات أو عرفة فعل «عرّف»، فيقال: عرّف الناس إذا شهدوا عرفات عند الحج، وشاهد ذلك قول عبيد بن عبد العزى السلمي<sup>(٦)</sup>:

وقد حلفتُ والسُّرَّ بيني وبينها      بربِّ حجيجٍ قد أهلُّوا وعرفوا  
وفضلاً عن ذلك فقد وردت تسمية عرفات بالمشعر الأقصى عند أبي طالب  
عم الرسول - ﷺ - في قصيدته المشهورة<sup>(٧)</sup>:

وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له      إلالٌ إلى مُقْصَى الشُّراجِ القوالبِ

- المنازل :

إن الباحث في المصادر القديمة يجدها تشير إلى أن القبائل العربية في حجَّها  
ووقوفها بعرفات لم تكن تقف كلها في مكان واحد، وإنما خُصَّص لكل قبيلة  
موقف محدد تقف فيه، ولا تتجاوزه إلى موقف قبيلة أخرى.

وقد استمرت هذه المواقف حتى بعد فتح مكة، إذ روي أنه: «أقيم الحج في  
سنة ثمان للهجرة، فوقف المسلمون على مواقفهم، وسائر الناس على شركهم  
وقفوا على منازلهم في الحج التي كانوا عليها في الجاهلية. وأقام الحج سنة تسع  
أبو بكر الصديق، وحجَّ المشركون على مواقفهم في الجاهلية»<sup>(٨)</sup>.

بيد أننا لا نعرف تفصيلات واضحة عن أسماء تلك المنازل التي كانت تنزلها  
كل قبيلة، وأكبر ظننا أن توحيدها في الإسلام هو الذي طمس ذكرها. ومع  
ذلك فقد ذُكر اسم موقف لقبيلة ربيعة يُدعى «نُقعة» ليس لهم غيره، في شعر  
عمرو بن قميثة، حين قال<sup>(٩)</sup>:

ومنزلة بالحجِّ أخرى عرفتها      لها، نُقعةٌ، لا يُستطاع بُروحُها

هذا عن منازل القبائل التي تغد من أمكنة نائية. أما أهل مكة، وقريش  
خاصة فإنهم لم يكونوا يقفون بعرفات كسائر العرب، وإنما كانوا يلزمون أنصاب  
الحرم، قرب المزدلفة في مكان يُدعى «تَمرة»، وسبب ذلك أنهم كانوا يميزون

أنفسهم من باقي العرب لأنهم حمس، ولا حاجة لهم إلى النزول بعرفات .

ولكن ما المراد بالحمس؟ ومن أين أتوا بهذا الاسم؟

لعل ما يفسر ذلك ما ورد من أن قريشاً وأهل مكة كانوا يقولون: «نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم، وولاة البيت، وقطان مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم . . . وقالوا: نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم، ولا نعظم غيرها كما نعظمها، نحن الحمس»<sup>(١٠)</sup>.

وقد ورد أيضاً أن الحمس أهل مكة: قريش وخزاعة ومن دان بدينهم ممن ولدوا من حلفائهم، وإن كان من ساكني الحل<sup>(١١)</sup>. ويرجح أنهم دعوا حمساً لتشددهم على أنفسهم في دينهم<sup>(١٢)</sup>، ذلك أن الحمس جمع أخمس وحمس، من حمس، أي اشتد وصلب في الدين والقتال<sup>(١٣)</sup>.

وأهم الأمور التي ابتدعها الحمس أنهم - في الحج - تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها؛ «وهم يعرفون ويقرّون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها. إلا أنهم قالوا: نحن الحمس أهل الحرم، فليس لنا أن نخرج من الحرم، ولا نعظم غيره»<sup>(١٤)</sup>. وإذا وقف الناس على عرفة جعل الحمس موقفهم في طرف الحرم، يقفون به عشية عرفة، ويفيضون منه إلى المزدلفة<sup>(١٥)</sup>، كما سترى في الإفاضة.

وعلى ذلك فإن الحمس لم ينكروا الوقوف على عرفات، وإنما كانوا يعترفون أنها من شعائر إبراهيم، بل هي أهم شعائر الحج، لكنهم اجتهدوا في ديانتهم وابتدعوا ذلك الرأي الذي رأوه وأداروه.

## -إلال :

من المسلم به في الروايات العربية القديمة أن الموقف العظيم للحجاج بعرفات لم يكن يمثله أي موقف يقفه الجاهليون المشركون، سواء أكان ذلك عند أصنامهم الكبرى أم عند بيوتهم المقدسة الأخرى. وقد حفل به الشعر الجاهلي في مواضع عدة منه، وكان الشعراء أكثر ما يذكرونه في مجال القسم أو التعظيم، وغالباً ما كانوا يذكرون جبلاً بعرفات، هو جبل «إلال»، ويقصدون به عرفات كلها<sup>(١٦)</sup>.

وأية ذلك أن النابغة الذبياني لم يجد قسماً أعظم من القسم بأولئك الحجاج الذين يقدمون من قلب الجزيرة العربية قاصدين عرفات، وهم يمتطون إبلهم يحثونها على الإسراع، كي لا يفوتهم الموقف العظيم، وإذا هم حينها يقتربون منها يرفعون أصواتهم ملينين خاشعين، قد اغبرت شعورهم ووجوههم، وأنهكت أجسامهم، كما أنهكت إبلهم، لكنهم يبدون غير آبهين بها أصابعهم، لأن هدفهم قضاء مناسكهم الدينية، وغايتهم إرضاء الإله عنهم<sup>(١٧)</sup>:

حلقتُ فلم أترك لنفك ريةً	وهل يأتمن ذو أمة وهو طائعُ
بمصطحبات من لَصَافٍ وثبرة	يسزنن إلا لا سيرهن تدافع
عليهن شعث عامدون لبرهم	فهن كسآرام الصريم خواضعُ
إلى خير دين نُسكُهُ قد علمتهُ	وميزانه في سورة البرماتع

وقد أشار النابغة إلى «إلال» أيضاً في موضع آخر من شعره واصفاً مشهد الحجيج وهم على عرفات يجارون بالتلبية والدعاء؛ وذلك في مديحه للنعمان بن المنذر واعتذاره منه: <sup>(١٨)</sup>

فلا لَعَمْرُ الذي أنثي عليه	ومما رفع الحجيجُ إلى إلال
لما أغفلتُ شكرَكَ فاصطنعني	وكيف، ومن عطائكُ جلُ مالي

ولم يفت الطفيل الغنوي موقف الحجاج هذا فأورده في شعره مصوراً الحجاج على الإبل، وهم محرمون قد اغبرت شعورهم وتشعثت، رافعين أصواتهم بالثبية والدعاء<sup>(١٩)</sup>:

بـسـزرن إلا لا يُنحبنَ غيره بكل ملب أشعث الرأس محرم  
وكذلك ورد ذكر الحجاج وهم بعرفات على «إلال» في القصيدة اللامية المشهورة لأبي طالب عم الرسول - ﷺ -<sup>(٢٠)</sup>:

أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل  
ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل  
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له إلال إلى مفضى الشراج القواهل

كما أقسم شاعر عامري بموقف عرفات ذاكراً «إلالاً» أيضاً الذي يتوزع عليه الحجاج في ذلك الموقف بعد أن أقسم بالله الذي يتنسك إليه الناس في ذلك المقام<sup>(٢١)</sup>:

فأقسم بالذي حجّت قريش وموقف ذي الحجيج إلى إلال

-الإفاضة:

إن شعائر الحج لدى العرب الجاهليين كانت تنص على أن يوم عرفة ينتهي حينما تطفل الشمس للغروب، ولا يبقى منها إلا أشعة على أعالى الجبال، فحينذاك يهي الحجاج رواحلهم، وينطلقون مندفعين إلى المزدلفة. وقد وصف ذلك أبو طالب في القصيدة السابقة نفسها<sup>(٢٢)</sup>:

وتوقفهم فوق الجبال عشية يقيمون بالأبدي صدور الرواحل

ويُسمى الانتقال السريع من عرفة إلى المزدلفة ثم إلى منى بالإفاضة أو

الإجازة، ولم تكن إفاضة الحجاج عشوائية غير منظمة؛ إذ أشارت كثير من الروايات إلى أن أفراداً معينين كانوا يميزون بالحجاج، ولم يكن يدفع أحد منهم إلا إذا دفع هؤلاء أمامهم.

جاء في «السيرة»: «كان الغوث بن مر بن أد يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده صوفة» (٢٣). وورد أن الغوث بن مر كان إذا دفع الناس قال (٢٤):

لأهم إني تابع تباعة إن كان إثم فعل قضاة

وقد ظلت الإجازة من عرفات في صوفة وأقربائهم آل صفوان من بعدهم، وكان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرب بن صفوان، وإليهم يشير أوس بن مغراء السعدي، موضحاً أن الحجاج لم يكونوا يدفعون من عرفة إلا إذا أجاز بهم أحد من آل صفوان (٢٥):

لا يبرح الناس، ما حجوا، معرفهم حتى يقال: أجزوا آل صفوانا

وأورد ابن قتيبة لأوس بن مغراء يبين من الشعر في المعنى نفسه (٢٦):

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال: أفيضوا آل صفوانا

مجداً بنائه لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر أحرانا

وأغلب الظن أن إسرار الحجيج حين إفاضتهم من عرفات إلى المزدلفة كان يعود إلى رغبتهم في الوصول إليها قبل أن ينجم الظلام، وتشتد حرارته؛ مما قد يؤدي إلى عرقلة ذلك الحشد الكبير من المطايا بحجاجها، ويبدو أن ذلك الإسرار قد استمر حتى الإسلام، فقد ورد في الحديث الشريف عن ابن عباس أنه: «قد دفع مع النبي - ﷺ - يوم عرفة، فسمع الرسول - ﷺ - وراءه زجراً

شديداً وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار بسوطه إليها، وقال: أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع» (٢٧).

وثمة نار كانت توقد على جبل فُزَحَ بالمزدلفة أيام الحج، ولعل إيقادها إنما كان ليهتدي بها الحجاج المندفعون من عرفة قبل أن يدرّكهم الظلام، ويتعذر عليهم أخذ أمكتهم بالمزدلفة؛ وقيل إن أول من أوقدها هو قصي بن كلاب، فاستمرت على ذلك حتى الإسلام (٢٨).

وإذا كان أكثر الحجاج العرب يفيضون من عرفات إلى المزدلفة فإن قریشاً وأهل مكة - وهم الخمس - لم يكونوا يدفعون مع الناس، وإنما كانوا - كما سبقت الإشارة - يقفون بموضع «تَمَرَة» في طرف الحرم، ويدفعون منه إلى المزدلفة (٢٩)، وظل ذلك الأمر إلى الإسلام، فنزلت الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...﴾ الآية (٣٠) آمرة الخمس أن يفيضوا مع سائر الناس على عرفة وأن يفيضوا معهم (٣١).

ولا ريب في أن الإسلام قد عظم الوقوف على عرفات، وعده أهم مشاعر الحج، ووصفه القرآن الكريم بالحج الأكبر، وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (٣٢). وكذلك نوه التنزيل المحكم بهذا الموقف في موضع آخر منه داعياً الحجاج عند إفاضتهم من عرفات إلى المزدلفة أن يسبحوا الله، ويتهلوا إليه، ويذكروه ذكراً كثيراً، ولا يلهجوا بذكر سواه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِقِ الْحَرَامِ﴾ (٣٣).

وفضلاً عن ذلك فقد ورد عن الرسول - ﷺ - أنه قال: «الحج عرفات - ثلاثاً - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك» (٣٤).



## المزدلفة

بعد الإفاضة من عرفات كان الحجاج الجاهليون يجتمعون كلهم بالمزدلفة التي تقع بين عرفات ومنى على منتصف الطريق تقريباً، ولا يتخلف أهل مكة أو الخمس عن الانضمام إلى بقية العرب في ذلك الموقف، فيبيتون جميعاً معظم ليلتهم، ليلة العاشر من ذي الحجة.

أما معنى المزدلفة فقد وردت أقوال عدة فيه، فقليل: سُميت بذلك لأنها منقولة من الازدلاف وهو الاجتماع. وقيل: الازدلاف: الاقتراب؛ لأنها مقربة من الله<sup>(٣٥)</sup>. ويبدو أن معنى الاجتماع والاقتراب معاً هما الأرجح في التسمية، إذ إن الاقتراب يؤدي إلى الاجتماع.

ومن الجدير بالاهتمام أن النصوص القديمة التي ذكرت المزدلفة أطلقت عليها اسم «جمع» مما يؤكد أن معنى الاجتماع هو الدافع إلى تسميتها المزدلفة؛ فقد ورد أنها سُميت جمعاً لاجتماع الناس بها<sup>(٣٦)</sup>. كما سميت أيضاً المشعر الحرام على نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقْبَضْتُم مِّنْ عَرَفَتِ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ...﴾ الآية<sup>(٣٧)</sup>، وجاء في تفسير الآية: «وإنها سميت المزدلفة المشعر الحرام لأنها داخل الحرم»<sup>(٣٨)</sup>.

وإذا عدنا إلى مبيت الحجاج بالمزدلفة فإننا نجد أنهم يقفون على جبل فُزَح في الغلَس قبل شروق الشمس، وهم يلبسون ويجأرون بالدعاء والابتهال ومختلف التلبيات منتظرين إشراق الشمس. وكان بعضهم يستعجل ذلك الإشراق، فيخاطب جبل ثبير الذي تخرج من خلفه الشمس قائلاً: «أشرق ثبير. كيما نُغير» أي: أشرق بالشمس حتى تدفع من المزدلفة<sup>(٣٩)</sup>.

ولا يزال الحجاج في موقفهم ذاك حتى تشرق الشمس ، ونصير على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال ، فعندئذ يدفعون دفعاً سريعاً قاصدين منى . وقد خالف المسلمون المشركين في وقت الإفاضة ، فكانوا يدفعون من عرفة بعد غروب الشمس ، ويدفعون من المزدلفة قبل طلوع الشمس<sup>(٤٠)</sup> .

وآية ذلك ما ورد في حديث الإفاضة من المزدلفة عن عمر بن الخطاب أنه قال : «إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، ويقولون : أشرق ثبير . وإن النبي - ﷺ - خالفهم ، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس»<sup>(٤١)</sup> .

## ٢- الإفاضة إلى منى :

لم يخل الشعر الجاهلي من الإشارة إلى المزدلفة والإفاضة منها إلى منى على نحو ما نجده في شعر أبي ذؤيب الهذلي من ذكر لمبيت الحجاج بالمزدلفة ثم انتقالهم إلى منى ، وذلك من خلال وصفه لحاج يقضي مناسكه سريعاً لينتقل إلى شراء العسل<sup>(٤٢)</sup> :

فبات بجمع ثم تم إلى منى      فأصبح راداً يبتغي المزج بالسحل

وكذلك ورد الوقوف عند جمع أو المزدلفة ليلاً ثم الإفاضة منها إلى منى في شعر أبي طالب ، حين أقسم بالمشاعر الحرم ، مصوراً اندفاع الإبل والحيل بالحجاج عليها اندفاعاً سريعاً ، وكأنها تهرب من وقع مطر ينصب انصباباً شديداً<sup>(٤٣)</sup> :

وليلة جمع والمنازل من منى      وهل فوقها من حرمة ومنازل  
وجمع إذا ما المقربات أجزته      سراعاً كما يخرجن من وقع وإبل

ومن المرجح أن يكون بالمزدلفة أيضاً منازل تنزلها القبائل ، لأن الشعر السابق يشير إلى منازل منى ، ولعله أراد الأماكن التي تنزلها كل قبيلة وتخص نفسها بها ، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن كل قبيلة منذ وقوفها على عرفة يلزم أفرادها بعضهم بعضاً ، فإذا دعوا إلى المزدلفة وقفوا في مكان معروف لهم ، وكذلك شأنهم إذا انتقلوا إلى منى .

أما سبب إسرعهم في الإفاضة من المزدلفة إلى منى فلا يُعرف تماماً ، وربما كان لرعبتهم في أخذ أمكتهم قبل الآخرين ، أو ربما كان لرغبتهم في التحيل بالنحر بمنى ، ثم إحلال الإحرام والعودة إلى الديار .

### ١٠. إجازة صوفة وعدوان:

إذا كانت الإفاضة من عرفات منتظمة يقودها أفراد معروفون ، فإن الإفاضة من المزدلفة لم تكن تصح لدى الحجاج إلا إذا أجاز بهم المكلفون هذا الأمر .

وقد ورد أن الإفاضة كانت في صوفة وأقربانهم يجيزون الناس هنا كما يجيزونهم من عرفات<sup>(٤٤)</sup> ، بيد أن ثمة روايات أخرى تشير إلى أن الإجازة من المزدلفة كانت في عدوان بنسوارثونها كائناً عن كاسر ، وفي ذلك يقول ذو الإصبع العدواني في معرض ذكره لاختلاف قومه وتفرقهم بعد أن كانوا في عرة ومهابة وقوة ، وبعد أن كان الحجاج يجعلونهم القدوة في الإجازة وقضاء المناسك<sup>(٤٥)</sup> :

عَذِيبُ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا	نَ كَاسُوا حَبِيبَةَ الْأَرْضِ
بَغَى مَعْضُهُمْ ظُلْمًا	فَلَمْ يُزْعِ عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتْ الْمَادَا	تُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرُصِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِيرُ النَّاسَا	سَ بِالسُّنَّةِ وَالْقَرُصِ
وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضِي	فَلَا يُنْقِصُ مَا يَقْضِي

وكان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيرة عُمَيْلَةُ بن الأعزل وفيه يقول  
راجز من العرب (٤٦):

نحن دفعنا عن أبي سيرة      وعن مواليه بني قزارة  
حتى أجاز سالماً حمارة      مُستَقْبِلَ القِبْلةِ يدعوا جارة

ويفهم من هذه الآيات أن الحجاج العرب كانوا يتجمعون مزدحمين حول من  
يحمز بهم، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك بغية الإسراع في تلقي إشارة البدء  
بالإفاضة.

ويروى أن أبا سيرة هذا قد دفع من المزدلفة إلى مئى أربعين سنة على حمار له،  
ولم يعثر الحمار في ذلك، حتى أدركه الإسلام، فكانت العرب تتمثل به،  
فتقول: «أصبح من غير أبي سيرة»، وفيه يقول الراجز بها يشبه الآيات  
السابقة (٤٧):

نحن دفعنا عن أبي سيرة

حتى أفاض محرمًا حمارة      مُستَقْبِلَ القِبْلةِ يدعوا جارة

ويمكننا أن نوفق بين الرواية التي تنص على أن الإفاضة كانت في صوفة  
وأقربائهم من بعدهم حتى الإسلام، وبين الرواية التي تنص على أنها كانت في  
عدوان حتى الإسلام أيضا بأن صوفة وأقرباءهم كانوا يحمزون بقسم من العرب،  
وأن عدوان كانت تحجز بقسم آخر، ويبدو أن إحازة عدوان كانت خاصة  
بالإفاضة من المزدلفة، أما إحازة صوفة فكانت في الإفاضة عامة من عرفة  
والمزدلفة ومئى.

ومهما يكن من الأمر فإن الإفاضة على تلك الشاكلة المنتظمة كانت نحدًا من

فوضى اندفاع الحجيج في غير وقت محدد، كما أنها تشير إلى أن الحجاج كانوا يقتدون بمن يميزون بهم، ويعتدون ذلك إتماماً لشعائهم وماسكهم في الحج.

## ٥- نفس:

عند إشراق شمس اليوم العاشر من ذي الحجة وإفاضة الحجاج من المزدلفة إلى منى التي تقع في درج الوادي قرب مكة يكونون قد انتهوا إلى آخر مواقف الحج حيث إنهم بعد أن ينهوا مناسكهم فيها يحلّ معظمهم إحرامه، ويسهي حجه، ويعود إلى دياره.

أما سبب تسمية هذا الموقف بمنى فلم يتفق فيه على قول واحد، شأن الموقفين السابقين، بيد أن أرجح الأقوال في هذا المجال ما ورد من أنها سُميت بمنى لما يُعنى فيها من الدماء - أي: يراق<sup>(٤٨)</sup> - ذلك أن الهدي الذي يجلبه الحجاج معهم ينحر جميعاً هناك تقرباً إلى الله رب البيت الحرام.

وقد حفل الشعر الجاهلي بإشارات عدة إلى منى ينطوي معظمها على صورة الحجاج، وهم يسارعون للوصول إلى منى وقضاء ما عليهم من شعائر فيها. فمن الشعراء الذين ذكروا ذلك الموقف العظيم طويلم بن حريم الذبياني الذي كان يريد الحج فنزل على المغيرة بن عبد الله المخزومي، فأراد هذا أن يأخذ منه ما كانت تأخذه قريش ممن ينزل بها، وتسميه «الحريم»، فمنعه طويلم من ذلك، وقال رجزاً يستجير فيه بحرمته منى وما يجاورها<sup>(٤٩)</sup>:

يا ربُّ هل عندك من غفيرةٍ      إن منى مانعةٌ المغيرةَ  
ومانعٌ بعد منى ثيرةٍ      ومانعني ربي أن أزورةَ

وكان الشعراء أكثر ما يذكرون منى في معرض القسم والتعظيم واصفين إسراع الإبل بحجاجها، وما جلبوه معهم من هدي لنحره فيها على نحو ما سجده في

قسم مِهْكَةُ الفزاري بالإبل وحجاجها إنهم كادوا يفتكون بعامر بن الطفيل ،  
وذلك في قوله (٥٠):

يا عام لو قَدَرْتُ عليك رماحنا      والرأقصات إلى منى فالغُبُغُبِ  
لَتَقَيْتُ بِالسَّوْجَعَاءِ طَعْنَةً فَاتَكَ      مُرَّانًا أَوْ لَثَوَيْتَ غَيْرَ مُحْسَبِ

ومن هذا القبيل أيضاً ما أقسم به الأعشى في شعره من يمين غليظة برب  
الحجاج الذين يأتون إلى منى على إبل مربعة تقطع الميافي والجبال من غير تعب  
ولا نصب (٥١):

حلفتُ بربِّ الرأقصات إلى منى      إذا غَرَمَ حاورتهُ بعد غَرَمِ

وكذلك أقسم طرفة بن العبد برب الإبل التي تقصد مكة ، وبما عليها من  
حجاج ذاكراً الأيام التي يقضون فيها مناسكهم بعرفة والمزدلفة ومنى (٥٢).

حلفتُ بربِّ الرأقصات إلى منى      يُسَارِينَ أيامَ الشَّاعِرِ والنَّهْضِ

وقد اهتم بعض الشعراء بالهدى الذي يجلبه الحجاج معهم ، وبما يقلدونه من  
قلائد تدل على إهدائه وتقدمته للنحر في منى ، فصوروا ذلك في أشعارهم ،  
فضلاً عن تصويرهم مشهد الإبل السريعة من حلال تعظيمهم وقسمهم بها  
وبحجاجها ، كما تيسر ذلك في قول جِنَّة بنه عبد العزى (٥٣).

إني وربُّ الرأقصات إلى منى      بجوب مكَّة هَذِيهُنَّ مُقْلَدُ

وكان الحجاج يسارعون لدى وصولهم إلى منى ، إلى نحر ما جلبوه معهم من  
الهدى ، فكانوا يبدؤون ذلك منذ الصباح ، ويستمررون عليه إلى أن تميل الشمس  
نحو المغيب . وقد صور لنا ما يفعله الحجاج هناك شأس بن عبدة ، واصفاً ما  
يسيل من دماء غزيرة مصدرها الإبل والسوام التي قلدت قلائد مختلفة علامة  
على إهدائها (٥٤):

حلفتُ بها ضمَّ الحَجِيجُ إلى مِى      وما تُحْرُجُ من نَحْرِ الهَدْيِ الْمُقْلَدِ  
 ويكون ذبَح الهَدْيِ علامة لِحُلِّ إِحْرَامِ الحَجِيجِ ، وإشارة إلى أنهم أتموا الحج ،  
 ولذلك قال عبد الله بن العَجَلان التَّهْدِيّ موصحاً ما يُقدِّمُ لِلانْصَابِ من عتائِر ،  
 وما يُقدِّمُ في مَنَى من هَدْيٍ تَقَرُّمَةً إلى الله وإِحْلالاً لإِحْرَامِ الحَاجِ (٥٥) :  
 والعتر عتر النَّسِيكِ يَحْفَرُ بِالـ      تُذَنِّ لِحُلِّ الإِحْرَامِ ، والنَّصْبُ

## الجمار :

هل تنتهي شعائر الحج بانتهاء نحر الهدي؟ وهل يقتص الحجاج عائدين إلى ديارهم بعد ذلك؟

إنَّ الروايات العربية والأشعار الجاهلية تؤكد أن ثمة أمراً آخر كان يقصيه المتعبدون هناك ، وهو رمي الجمرات ، وهي بمى ثلاث : الحمرة الأولى ، والجمرة الوسطى ، وجمرة العقبة (٥٦) ، فكان الحجاج يرمونها بالحصيات ، ولذلك سُمِّي ذلك المكان سَالِئُ حَصْبٍ والجِمار (٥٧) . وورد أن الجمار النَحْمِصَ والجماعة (٥٨) ؟ وعلى ذلك جاء قول الأعشى ذاكرة الجِمار بمعنى الجماعة (٥٩) :

فَمَنْ مَبْلُغٌ وَأَنَّى قَوْمُنَا      وأعني بذلك بكسراً جماراً

وتنص الأخبار والروايات العربية على أن رمي الجمار كان من شعائر ديانة إبراهيم عليه السلام ، وعلى أنه كان يرمي كل جمرة سبع حصيات ، بادناً بجمرة العقبة ، ومنتهايا بالحمرة الأولى أو السفلى ، وكانت العاية من ذلك الرمي رحم إبليس القوي الذي طهر لإبراهيم الخليل عند تلك الجمرات الثلاث (٦٠) ، ثم خلفت الخلوف بعد ذلك العهد ، فأنحرفوا عن الديانة التوحيدية فأشركوا الله تعالى بالأصنام حتى إذا أتينا إلى العصر الجاهلي وجدنا مظاهر الشرك تنتشر في مواقف الحج أيضاً ، فقد ورد أن أنصاباً كانت في مَنَى يعثرون عسدها العتائر

قرباناً لألهمهم فضلاً عن نحرهم الهدى مقدمة إلى الله . وقد أشار إلى تلك الأنصاب لدى الجمرات معاوية بن رهير في قوله (٦١):

فأقسمُ بالذي قد كان ربي      وأنصاب لدى الحِمَرَات مُغَر  
لسوف ترون ما حسي إذا ما      تبدلت الجلودُ جلودَ نَمَرٍ

بيد أن العرب الجاهليين على الرغم من شركهم ظلوا يعدون رمي الجمار من شعائر الحج الثابتة التي لا تنم إلا به ، يؤكد ذلك ما ورد من أن الحجاج حينما كانوا يلعبون مئى ، ويذهبون هديهم يتوجهون إلى رمي الجمار لكهم لم يكونوا يبدءون بالرمي حتى يرمي قلبهم من أجاز بهم من عَرَقَةٍ والمُزْدَكَّةُ ؛ فقد روي أنه لما كانت صوفة تحير بالناس من عَرَفَات لم يكن يرمي أحدٌ منهم حتى يرمي رجل من صوفة : «فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمي معك ، فيقول : لا ، والله ، حتى تميل الشمسُ ، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له . ويلك قم فارم ! فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس قسام فرمى ، ورمى الناس معه» (٦٢).

ومن هنا يتبين لنا إلى أي مدى كان الحجاج يتمسكون بشعائرهم في الحج ، ويقتدون بمن يرشدهم إلى أدائها ، ولا يخرجون على شعيرة من الشعائر ، ولو دفعته الحاجة إلى ذلك دفعاً على نحو ما لحطناه في النص السابق .

أما كيف كان يرمي الحجاج الجمار ، وكم عدد الحصيات التي كانوا يرمون بها ، فإنه لم يردنا شيء مفصل عن ذلك ، غير أننا نرجح أن يكون الرمي منظماً نظماً معيناً ، وأن يكون عدد الحصيات التي يرمى بها محدداً ، وما يساعدنا على هذا الترجيح ما وجدناه من تنظيم للإفاضة ، ومن التزام الحجاج التام بوقت



الرمي ، ومن إطاعتهم لقدوتهم في الإجارة وبده الرجم .

وقد ألم الشعر الجاهلي بذكر المحَصَّب والجمار ، وبمشاهد الحجيج ، وهم يهرعون إلى رمي الحمرات في تصوير ينم على اهتمام الشعراء بذلك المشعر وانفعالهم بأداء الحجاج لتلك الشعائر

فمن الشعراء الذين أشاروا إلى الحمرات إشارة عامة نُعَيْل بن حبيب في قوله يذكر ما كان من شأن النعل وعدم حركته لدى الجمرات عندما أتوا به لهدم الكعبة (٦٣) .

رُدَيْتَةُ لَوْ رَأَيْتِ - وَلَمْ تَرِيهِ - لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا

كما شبه حاجزُ بن عوف الأزدي إقبال العدو وإغارتهم عليهم لكثرتهم وسرعتهم بنزول خير مَيٍّ وإناختها رواحلها لدى الجمار ، وذلك في قوله (٦٤) :

فَلَمْ نَشْعُرْ بِهِمْ حَتَّى أَتَوْنَا كَحَمِيرٍ إِذْ أَنْأَخْتَ بِالْجِمَارِ

ولعل أبا طالب أفصل من عرض لمشهد الحجيج بالجمار ، وذلك حين صورهم لنا وهم يحصبون جمرة العقبة بالحصى ، كما صور تجمع قبيلة كندة هناك تاهباً للعودة إلى ديارها ، وذلك عندما قال (٦٥) :

وَبِالْجِمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا هَا يَوْمُونَ قَذَفُوا رَأْسَهَا بِالْجُنَادِلِ  
وَكَنْدَةً إِذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةً نَحِيرُهُمْ حَجَّاجٌ بِكْرِ بْنِ وَائِلٍ

ووصف حذيفةُ بن أنس الهذلي تسابق الحجاج نحو الجمرات مشبها إدراك فرسه خيل الأعداء بذلك التسابق (٦٦) .

لَأَدْرِكُهُمْ شُعَتِ الْوَأَصِي كَانِهِمْ سَوَابِقَ حَجَّاجٍ تَوَافِي الْمُجَمَّرَا

وضمن الشنفرى شعره ذكر الجمار وما فيه من حجاج يرفعون أصواتهم

بالدعاء والتلبية ، وذلك حين افتخر بثأره من قاتل أبيه ، ولم يراع في ذلك حرمة  
مواقف الحج والشهر الحرام ؛ لأنه زعم أن أباه قد قتل وهو محرم أيضاً<sup>(٦٧)</sup> :

قَتَلْنَا قَتِيلًا مُهْدِيًا بِمُلْدٍ جَمَارَ مَنَى وَسَطَ الْحَجَّيْعِ الْمُصَوِّتِ  
أما امرؤ القيس فقد ألح في شعره إلى ما يكون من تفرق الحجاج بعد أن يرموا  
الجمرات بالمحصب ، ويأخذ كل واحد منهم إلى جهته ، وذلك من خلال  
تصويره فراق محبوبته وأثر ذلك في نفسه<sup>(٦٨)</sup> :

فَلَكِهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ تَفَرُّقٍ أَشْتَى وَأَنَايَ مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ  
وقد استمر رمي الجمار في الإسلام ، وظل من أبرز شعائر الحج ، بيد أن  
المسلمين خالفوا المشركين ، فلم يتقيدوا بوقت الرمي لديهم ؛ لأنهم كانوا لا يرمون  
حتى تميل الشمس ؛ إذ ورد في الحديث الشريف : «رمى النبي - ﷺ - يوم النحر  
ضحى ، ورمى بعد ذلك بعد الروال»<sup>(٦٩)</sup> . كذلك فإن الإسلام حدد عدد  
الحصبات وكيفية الرمي بها عند الجمرات الثلاث بما يشبه ما ورد عما كان يقوم به  
إبراهيم عليه السلام .

وآية ذلك ما ورد عن الزهري من : «أن رسول الله - ﷺ - كان إذا رمى الحمرة  
التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصبات يكبر كلما رمى بحصاة ، ثم تقدم  
أمامها فوقف مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رافعاً يديه يدعو ، وكان يطيل الوقوف ، ثم يأتي  
الحمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات يكبر كلما رمى بحصاة ، ثم ينحدر ذات  
اليسار مما يلي الوادي ، فيقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو ، ثم يأتي الحمرة  
عند العقبة فيرميها بسبع حصيات ، يكبر عند كل حصاة ، ثم ينصرف ولا يقف  
عندها»<sup>(٧٠)</sup> .

## . قضاء الناسك :

إذا عدنا إلى مسيرة الحجاج المشركين فإننا نجدهم حينما كانوا يتنهون من رمي الحمرات يتعجلون للعودة إلى ديارهم، لكنهم هنا أيضاً لم يكن يجوز لهم الخروج إلا بعد أن يجير الذي أجاز بهم من عرفات والمزدلفة، والذي أعطاهم إشارة بده رمي الجمار.

ف عندما كانت صوفة تحجز بالناس فإن الحجاج كانوا: «إذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا التفر من منى، أخذت صوفة حنانبي العقبه، فحبسوا الناس، وقال الحجاج: أجيزي صوفة! فلم يجز أحد من الناس حتى يمرؤا، فإذا نفرت صوفة حلي سبيل الناس، فانطلقوا»<sup>(٧١)</sup>. وقد ألم مرة بن خليف المهدي بهذا المشهد في شعره موضحاً رغبته ورغبة الحجاج في الإسراع بالعودة إلى أهلهم بعد أن نحروا هديهم، وأتموا حجهم، وقضوا نسكهم<sup>(٧٢)</sup>:

إذا ما أجازت صوفة الثقب من منى      ولاح قنار فوقه سفع الدم  
رايت الإيـاب عاجلاً وتبعثت      علينا دواعٍ من رباب وكلثم

ومن هذا القبيل أيضاً ما ذكره شاعر جاهلي من انتهاء الحجاج في آخر مناسكهم، وموقفهم بمنى عشية، وإسراع الإبل بهم في العودة بعد أن قضوا ما عليهم من شعائر يرجون من ورائها الأجر والمغفرة<sup>(٧٣)</sup>:

يا رب، رب الرأقصات عشية      بالقوم بين منى وبين ثبير  
زحف الرواح قد انقضت منائمهم      يحملن كل ملبد ماجبور

إذن فإن رحلة الحج تبدأ قبل غروب شمس يوم التاسع من ذي الحجة حينما يدفع الحجاج من عرفات إلى المزدلفة حيث يبيتون هناك ليلتهم، ويران جبل

فَرَحَ تَظَلُّ تَشْتَعِلُ مَضِيئَةً طَوَالَ اللَّيْلِ ، فإِذَا مَا حَانَ الْفَجْرُ ، وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ أَفَاضُوا مَنَدَمَعِينَ إِلَى مَنَى ، فَذَبَحُوا هَدِيَّهِمْ ، وَرَمَوْا الْجُمَرَاتِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَيَكُونُونَ بِذَلِكَ قَدْ أَنَهَوْا مَسِيرَةَ الْحَجِّ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَذَلِكَ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْعَاثِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَلَا يَتَقَى لَهُمْ بَعْدُهَا إِلَّا دَحُولُ مَكَّةَ وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ ، ثُمَّ الْعَوْدَةُ إِلَى دِيَارِهِمْ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَعَهَّلُ تِلْكَ الْعَوْدَةَ فَيَسْرِعُ بِالطَّوَافِ أَوْ يَرْحَلُ مِنْ دُونِ أَنْ يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ الْمَشْرِقَةِ .

وَيَبْدُو أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْحُجَّاجِ بَعْدَ قَضَائِهِمْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ كَانُوا يَتَجَمَّعُونَ فِي مَوْسَمِ عُمَاظٍ أَوْ غَيْرِهِ فَيَتَخَاخَرُونَ بِالْأَسَابِ ، وَيَتَبَاهَوْنَ بِفَعَالِ الْأَنْبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَبِمَا يَتَحَلَّوْنَ بِهِ مِنْ أَحْلَاقٍ كَرِيمَةٍ وَحِصَالِ حَمِيدَةٍ . فَلَمَّا حَاءَ الدِّينَ الْحَنِيفَ نَزَلَتْ الْآيَاتُ الْمَحْكُمَاتُ لِنَسَبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ مِنَ الذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ هُوَ الْمَقْصَدُ فِي الْحَجِّ ، وَهُوَ الْغَايَةُ مِنْ قِصَاءِ الْمَنَاسِكِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هَٰذَا قُصُّبُهُ مَسْبُكُكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ مَنَاسِكَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا . . . ﴾ الْآيَةُ (٧٤)

وَحَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : «كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَفْقَهُونَ فِي الْمَوْسَمِ ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ : كَذَّابٌ يُطْعَمُ وَيَحْمَلُ الدُّبَيَاتِ ، لَيْسَ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُ فَعَالٍ أَنَانِهِمْ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ - ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ الْآيَةُ (٧٥)

وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ مَوَاقِفَ الْحَجِّ وَمَنَاسِكَهَ كُنَّتْ ذَاتَ أَثَرٍ كَبِيرٍ فِي نَفُوسِ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيِّينَ مِمَّا جَعَلَ شِعْرَاءَهُمْ لَا يَذْكُرُونَهَا إِلَّا فِي مَجَالِ الْقِسْمِ وَالتَّعْطِيمِ ، كَمَا مَرَّ بِنَا فِي أَكْثَرِ الْأَشْعَارِ الَّتِي عَرَضْنَا لَهَا ، وَكَمَا نَحْدُ ذَلِكَ وَاضِحًا فِي قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ يَمْدَحُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذَرِ ، فَيَصِفُهُ بِحَسَنِ التَّنْدِيرِ وَصَوَابِ الرَّأْيِ ، وَبِعِرَاقَةِ النَّسَبِ وَكِرَمِ الْعَنْصَرِ (٧٦) :

لَعَمْرُكَ السَّيِّدِ حَجَّتْ قَرِيشٌ قَطِيبَةً      لَقَدْ كَدَّتْهُمْ كَيْدَ امْرِئٍ غَيْرِ مُسْتَدٍ

وفضلاً عن ذلك فإن مظاهر الحج كانت موضع أيمانهم في حياتهم العامة، فمن ذلك أنهم كانوا يقولون: «لا، والذي نادى الحجيحُ له»، ويقسمون بالإبل التي تحمل الحاج، فيقولون: «لا، والراقصات بيطن مر»، وكذلك قوهم: «لا، والذي رَقَصْنَ ببطحانه»، وقوهم: «لا، والراقصات سطن جمع» (٧٧).

وهكذا فإن تراثنا القديم - بأشعاره ورواياته - قد أمان لنا عن مواقف المشركين في الحج، وأوضح ماكانوا يقومون به فيها من مناسك وشعائر سواء أكان ذلك في وقوفهم بعرفات، أم في إفاصتهم منها إلى المزدلفة، أم في نحرهم ورميهم الجمار بمس، ثم في تأهبهم للطواف سالييت الحرام والعودة إلى الديار. وقد وجدنا فيها سبق أن الدين الإسلامي قد أقر تلك المواقف وبعض مناسكها، وجعلها ركناً أساسياً في الحج، وخاصة الوقوف بعرفات، ولكن بعد أن طهرها من رجس الشرك والمشركين، وبعد أن أزال كل ما علق في الأذهان من علائق الجاهلية وأوزارها، ليبقى الدين كله خالصاً لله الواحد الأحد الفرد الصمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## الحواشي والتعليقات

(١) البيان والتبيين . ٩٥ / ٣ .

(٢) معجم البلدان مدده (عريف) . وورد فيه أب سميت معرفة لأن حداثته عليه السلام عرف إبراهيم عليه السلام مناسك . فمعرفة معرفة فإن به عريف من معجم . فسميت عرفة وقيل بل سميت بذلك لأن آدم وحوا . معارف به بعد بروهي من الحجة . وقيل بل سميت بالنصر على ما يكابدون في الوصول إليها . لأن العرف النصر .

(٣) الشعر والشعراء : ٦٨٧ / ٢ .

(٤) تاريخ اليعقوبي : ٢٩٦ / ١ - ٢٩٧ .

(٥) أيام العرب في الجاهلية : ص ٣٢٣ .

(٦) قصائد جاهلية مائة ص ١٢٦ . وأهلوا أي دفعوا أصواتهم بالثبته عند الجمع

(٧) السيرة النبوية ١ / ٢٧٤ . ولشراح جمع شرح . وهو مثل بناء والقوايل المتطابقة

(٨) المحبر : ص ١١ - ١٢ .

(٩) ديوان ابن قسيمة : ص ٢٢ .

(١٠) لسيرة النبوية ١ / ١٩٩ . وانظر أخبار مكة ١ / ١١٣

(١١) أخبار مكة : ١ / ١١٤ . والمحبر : ص ١٧٨ .

(١٢) القاموس المحجب مدده (حسن) . وأخبار مكة ١ / ١١١ . والمحبر ص ١٧٩

(١٣) لقاموس المحجب مدده (حسن) . وقد ورد في مدده بعضها وقيل بهم لقولنا ذلك لأننا نعلم بالحساء . وهي الكمة . لأن حجرها أصغر من الأسود

(١٤) السيرة النبوية ١ / ١٩٩ . وأخبار مكة : ١ / ١١٩ .

(١٥) أخبار مكة : ١ / ١١٦ .

(١٦) معجم البلدان مادة (ألا) . وورد فيه أنه دال على الجمع انتهى عن ورر حسان . وأما اشتقاقه فقول إنه سمي لا لألا لأن الجمع إذا أرادوا أي جهودا لدركوا الموقف

(١٧) ديوان الناصح ص ٥٢ . الأله والأله تدبر وانظر ابن قسيمة . وضاف وثرة موضعان في بلاد من قسم عاصرون لهم أي عاصرون ما بينهم من حربي جمعهم والأرم : جمع ورم . وهو انقي والصريم المنصع من الرمن . وسوره لكبه ونايع لناع

(١٨) المصدر نفسه : ص ١٣٩

(١٩) ديوان انقليس ص ٧٤ . وسحق بمصدا . والصمير يعود في الرمن

(٢٠) السيرة النبوية ١ / ٢٧٤

- (٢١) المحرر: ص ١٣٩ .
- (٢٢) السيرة النبوية: ١/ ٢٧ .
- (٢٣) المصدر نفسه ١١٩/١ . وفيه من أمر البيت شيئا من غير أهله، أو قام شيء من أمر الناسك، يقال هم صوفة . انظر الروض الألف ٣٥/٢ .
- (٢٤) السيرة النبوية ١١٩/١ . ولأهمّ اللهم والشاعة ما يشع الإنسان ويقتدي به . وقصاعة حصنها جدا لأن منهم عظمى يستحلون الشهر الحرام .
- (٢٥) المصدر نفسه: ١/ ١٢١ .
- (٢٦) الشعر والشعراء: ٢/ ٦٨٧ .
- (٢٧) صحيح البخاري ٢٠١/٢ . والإيصاع الإسراع .
- (٢٨) أخبار مكة: ٢/ ١٥٤ .
- (٢٩) المصدر نفسه ١١٦/١ .
- (٣٠) اسفرة الآية ١٩٩ . وانظر تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٢ .
- (٣١) انظر الحديث في سب رسول الآية في صحيح البخاري ٢٠٠/٢ . وتفسير ابن كثير ٢٤٢/١ .
- (٣٢) التوبة الآية ٣ . وانظر تفسير ابن كثير ٣٣٤/٢ .
- (٣٣) البقرة الآية ١٩٨ . وانظر تفسير ابن كثير ٢٤٠/١ .
- (٣٤) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٠ .
- (٣٥) معجم لسان مادة (مردعه)، ووردت أنها سميت ساردا لمة لأرداف لسان في متى بعد الإلصاق . ومن لأرداف آدم وجواء بها، أي لاحت عجب . وفيه رسول لسانها في ألف اللق . وهو جمع أيضا . وفيه تركت العربة . فسميت مردعة لأن لسان مردعون فيها إلى الحرم .
- (٣٦) المصدر نفسه: مادة (جمع) .
- (٣٧) البقرة: الآية ١٩٨ .
- (٣٨) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٢ .
- (٣٩) أخبار مكة: ١/ ١٢٣ .
- (٤٠) المصدر نفسه: ١/ ١٢٣ .
- (٤١) صحيح البخاري: ٢/ ٢٠٤ .
- (٤٢) الحيوان ٤١٨/٥ . والرداء الهالك والمرح العسل والمحلل الشد .
- (٤٣) السيرة النبوية ٢٧٤/١ . والمقرنات الخيل التي تقرب مراتبها من الصوت لكبرها . وتشمل فيها الإبل أيضا .
- (٤٤) المصدر نفسه: ١/ ١١٩ .

(٤٥) ديوان ذي الإصبع : ص ٤٧ . وعذير الحبي : من يعذر ، أي : هاتوا من يعذر . وحية الأرض : يقال : فلان حية الأرض ، وحية الوادي ، إذا كان مهيباً يذعر منه ، وقيل : حية الأرض : أي : حياتها . ولم ينج : لم يُنج .

(٤٦) السيرة النبوية : ١٢٢ / ١ . ومواليه : بنو عمه ، لأنه من عدوان ، وعدوان وفزارة من قبس عيلان . ويدعو جاره : أي : يدعو الله ، فيقول : اللهم كن لي جاراً من أخاؤه .

(٤٧) مروج الذهب : ٣٠ / ٢ ، ومجمع الأمثال : ٤١٠ / ١ .

(٤٨) القاموس المحيط : مادة (مناه) ، ومعجم البلدان : مادة (منى) ، وورد في المصدر الثاني : وقيل : سمي الموقف بمنى لأن آدم عليه السلام نمت فيها الجنة . وقيل : أمنى القوم ، ومنى الله الشيء : قدره . وبه سمي منى . وقيل : سمي منى لأن الكيش (الذي قُدي به إسماعيل عندما أراد إبراهيم الحليل ذبحه) منى به ، أي : ذبح . وقيل : أخذ من «المنابا» وهي بلدة على فرسخ من مكة .

(٤٩) الاشتقاق : ص ٢٨٢ . وغبرة : مقبرة .

(٥٠) الأصنام : ص ٢١ . والوجعاء : الإسم . والمران : الرماح ، والتقدير : طعنه مران فأنك .

(٥١) ديوان الأحمس : ص ١٢٣ . والمراقصات : الإبل التي تسرع في سيرها . والمخرم : منقطع أنف الجبل .

(٥٢) ديوان طرفة : ص ١٧٠ .

(٥٣) الحماسة : ١٦٣٥ / ٤ . والهدى : من الإبل وغيرها ما يُعلم دلالة على تقدمته للحر بمنى .

(٥٤) أدباؤ العرب في الجاهلية : ص ٦٤ . ونج : سال . والمقلد : الذي عليه القلائد .

(٥٥) الحيوان : ٣٧٦ / ٥ . والعثر : الذبيحة تقدم للأصنام . والنسيك : لم أجدها ، وفي القاموس المحيط : مادة (نسيك) : النسيكة : الذبيحة . ولعله أراد تمييز هذا الذبيح عما يقدم للأصنام الأخرى ، وقد أقسم به كما أقسم بالأنصاب .

(٥٦) أخبار مكة : ٢٩ / ١ . والعقبة : موضع بمنى .

(٥٧) القاموس المحيط : مادتا (الخصبة) و(الجمرة) .

(٥٨) المصدر نفسه : مادة (الجمرة) .

(٥٩) ديوان الأحمس : ص ٤٩ .

(٦٠) أخبار مكة : ٢٩ / ١ .

(٦١) السيرة النبوية : ٣٥ / ٢ . ومغر : جمع أمغر ، وهو الأحمر ، أراد أنها مطلية بالأدعاء . وورد في «أخبار مكة : ١٤٢ / ٢» أن عمرو بن لحي الخزاعي نصب بمنى سبعة أصنام ، ووزعها على الجمرات الثلاث .

(٦٢) السيرة النبوية : ١٢٠ / ١ .

(٦٣) المصدر نفسه : ٥٣ / ١ .



- (٦٤) قصائد جاهلية نادرة : ص ٧٦ .
- (٦٥) السيرة النبوية : ١ / ٢٧٤ .
- (٦٦) الحيوان : ١٢٩ / ٥ .
- (٦٧) المفصليات : ص ١١١ . والمهدي : المحرم ساق الهدي . والمكبد : الذي لبّد شعره ، من التليد ، وهو أن يأخذ الحاج شيئاً من نبات الخطمي والأسر والسر ، وشيئاً من الصمغ فيجعلها في أصول شعره وعلى رأسه ، وذلك عند إحرامه للحج ، انظر الحيوان : ٥ / ٣٣٧ .
- (٦٨) ديوان امرئ القيس : ص ٤٣ .
- (٦٩) صحيح البخاري : ٢ / ٢١٧ .
- (٧٠) المصدر نفسه : ٢ / ٢١٩ .
- (٧١) السيرة النبوية : ١ / ١٢٠ .
- (٧٢) معجم الشعراء : ص ٢٩٤ . والقتار : الدخان من المطبوخ . والسفع : اللون الأسود أشرب بالأحمر .
- (٧٣) الحيوان : ٥ / ٣٧٥ . زحف : جمع زحوف ، وهي النساقة المثبتة . والرواح : أي عند الرواح . ومناتهم : جمع منة كالقوة وزنا ومعنى ، لكنها لا تناسب السياق ، ولعله أراد بها جمع أمنية .
- (٧٤) البقرة : الآية ٢٠٠ .
- (٧٥) تفسير ابن كثير : ١ / ٢٤٣ .
- (٧٦) ديوان الأعشى : ص ١٩١ . والقطين : القاطن ، ويبدو أنه أراد به الكعبة المشرفة . والمسد : الدعي في قوم ليس منهم .
- (٧٧) أيان العرب في الجاهلية : ص ٢٠ - ٢١ .



— القرآن الكريم.

— أخبار مكة : للأزرقى عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ)، ط. مكة المكرمة ١٣٥٢هـ.

— أدبنا العرب في الجاهلية : لمحمد نعيان الجارم، ط. مصر ١٩٢٣م.

— الاشتقاق : لابن دريد محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط. بغداد ١٩٧٩م.

— الأسماء : لابن الكلبي هشام بن محمد (ت ٢٠٦هـ)، تحقيق أحمد زكي، ط. دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.

— أعيان العرب في الجاهلية : لإبراهيم بن عبد الله النجيري (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، ط. القاهرة ١٣٤٣هـ.

— أيام العرب في الجاهلية : لمحمد أحمد جاد النول وآخرين، ط. القاهرة ١٩٤٢م.

— البيان والثبني : للجاحظ عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط. مصر ١٩٦٨م.

— تاريخ يعقوبي : لأحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ)، ط. بيروت ١٩٥٥م.

— تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : لإسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، ط. الباي الحلبي، مصر.

— الحاشية : لأبي تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ)، شرح المروزي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط. القاهرة ١٩٥١م.

— الحيوان : للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط. مصر ١٩٦٥م.

— ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس : تحقيق محمد محمد حسين، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

— ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.

— ديوان ذي الإصبع العدواني : تحقيق محمد العدواني ومحمد الدليمي، ط. الموصل ١٩٧٣م.

— ديوان طرفة بن العبد : تحقيق محمد علي الجندي، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

— ديوان الطفيل الغنوي : تحقيق محمد عبد القادر محمد، ط. بيروت ١٩٦٨م.

— ديوان عمرو بن قنينة : تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط. معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥م.

- ديوان النابغة الذبياني: صنعة ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق شكري فيصل، ط. بيروت ١٩٦٨م.
- الروض الأنف: للسهيبي عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرحمن السوكيل، ط. القاهرة ١٩٦٧م.
- السيرة النبوية: لابن هشام عبد الملك (ت ٢١٣هـ أو ٢١٨هـ)، تحقيق السقا والأبياري وشليبي، ط. الباي الحلبي، مصر ١٩٥٥م.
- الشعر والشعراء: لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
- صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ط. مطابع الشعب، مصر ١٣٧٨هـ.
- القاموس المحيط: للفيروز آبادي (ت ٨١٦هـ)، ط. الباي الحلبي، مصر ١٩٥٢م.
- قصائد جاهلية نادرة: مختارة من مخطوط «مستوى الطلب في أشعار العرب لابن ميمون بن المبارك» (من رجال القرن السادس الهجري)، تحقيق يحيى الجبوري، ط. بيروت ١٩٨٢م.
- مجمع الأمثال: للميداني أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ)، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد، ط. مصر ١٩٥٩م.
- المحبر: لابن حبيب محمد (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق، إيلازة ليختن شتير، ط. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٤٢م.
- مروج الذهب: للمسعودي علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، ط. بيروت ١٩٦٥م.
- معجم البلدان: لياقوت شهاب الدين الحموي (ت ٦٢٦هـ)، ط. بيروت ١٩٥٥م.
- معجم الشعراء: للمرزباني محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط. مصر ١٩٦٠م.
- الفضليات: اختيار الفضل الضبي (ت ١٧٨هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط. القاهرة ١٩٦٨م.